الواقعية الأشتراكية والأدب

بقلم : حمدان البرغوثي

يؤدي التطور الاقتصادي المستمر الى ظهور طبقات جديدة تنمو وتكبر وتشتد الى الحد الذي يمكنها من الاطاحة بالطبقة التي تحكمت فيها واستغلتها ومن ثم تحل محلها في الامساك بزمام الحكم وتستبدل بنظام الحكم العتيق نظاما سياسيا ملائما لمبادئها واهدافها.

وكل طبقة جديدة تعتنق منذ نشوئها افكارا ومعتقدات تستعين بها على تاييد حقها وتوطيد سلطانها، وكشف الستر عن عيوب الطبقة المستبدة بها وتقويض اركانها ولا يلبث ان ينبثق تيار ادبي يساندها في نضالها ويعبر عن افكارها ومعتقداتها في اعمالها، ويناهض افكار ومعتقدات الطبقة التي تناصبها العداء.

فالواقعية الاشتراكية بالطبع هي حصيلة النظرة الماركسية الى الفن والادب. وتقول الماركسية (ان الوجود هو الذي يقرر الشعور) والابداع انعكاس للعالم الحقيقي الذي يعيش فيه المبدع وهو نتيجة تماسه مع ذلك العالم وحبه وكراهيته لما يجده فيه. وعند ماركس ان الاسلوب المادي في الحياة هو الذي يقرر نهائيا الاسلوب الفكري الا ان العلاقة بين الطرفين ليس مباشرة والية وليس من السهل ملاحظتها دائما. وهكذا فان الاديب هو ابن عصره والادب تعبير عنه والاديب الواعي هو الذي يقف الى جانب الحياة ويلتزم بمناصرة قوى التقدم والتحرر والثورة. واذن فالموقف المشترك بين كتاب الواقعية الاشتراكية هو الالتزام باهداف الطبقة العاملة والنضال في سبيل تحقيق الاشتراكية.

والفلسفة الماركسية هي الدليل النظري بين ايدي هؤلاء الكتاب يمكن تطبيقها في الادب للكشف عن القوى العاملة باتجاه الاشتراكية ووصفها من الداخل وكذلك لتكوين رؤية اوضح عن المستقبل مما يقيهم منزلق الوقوع في التشاؤم او الحتمية.

وخلافا لما هو شائع بالنسبة للواقعية الاشتراكية فان ميدانها لا يقتصر على الواقع الموضوعي والعالم الخارجي بل يشمل كذلك ذاتية الفرد الانساني. ويصر جورج لوكاتش المفكر الهنغاري الكبير على ديناميكية الواقعية الاشتراكية وعلى قدرتها على الكشف وعلى تقدميتها المتجددة سواء من حيث المضمون او من حيث الشكل..

ان فهما اكمل لامكانات التطور الانساني والقوانين التي تنظمه كفيل بان يشكل اساسا لاسلوب جديد - يمكنه بهذا المعنى فقط - ان يسجل مرحلة جديدة في تطور الفن. وعلى الفور نفسه ينبغي لوجهة النظر الاشتراكية اذا فهمت وطبقت بشكل صحيح ان تمكن الكاتب من تصوير الحياة تصويرا شموليا اكثر من اية نظرة سلفت.

وربما كان برتولد برخت المسرحي الالماني اوضح من عبر عن وظيفة الفن الاشتراكي وكذلك اقدر من وضعها موضع التطبيق ويقول برخت عن وظيفة المسرح (ان مسرحنا يجب ان ينمي لدى الناس متعة الفهم والادراك ويجب ان يدربهم على الاحتباط بتغيير الواقع. لا يكفي ان يسمع متفرجونا كيف تحرر بروميثيوس بل يجب ان يتدربوا على تحريره والاغتباط بهذا التحرير. يجب ان نعلمهم في مسرحنا كيف يشعرون بكل مشاعر الفرحة والرضا التي يشعر بها المكتشف والمخترع وبكل حر الذي يستشعره الفائز على الطغيان).

وابرز ما يلاحظ في ادب الواقعية الاشتراكية منذ مطلع هذا القرن حتى اليوم ولا سيما في الاتحاد السوفيتي التاكيد المستمر على النزعة الانسانية ابتداء من مكسيم غوركي وانتهاء بنقاد معاصرين مثل يوري بورييف الذي يؤكد ان الانسان لا يكبر خارج الانسانية (ليس هناك تقدم خارج الانسانية ولا وجود لانسانية خارج التقدم الاجتماعي).

ويلخص الناقد كريجانوفسكي اشكال النزعة الانسانية في الادب السوفيتي بهذه الكلمات (لقد اقترب الادب من الشعب من مشكلاته واهتماماته وهو يستجيب للتعطش الكبير الى الحقيقة هذا التعطش الذي يحسه الشعب ولقد اصبح الادب اكثر انسانية واقل تصويرية واوفر فلسفة واغنى بالمشكلات وقد بدا الابطال والمؤلفون يتحدثون اكثر فاكثر عن السعادة والجمال.

وزادت قيمة الانسان ونما اهتمام كل انسان بالحياة. وان نمو لواقعية عمقا يفترض ايضا خلق لابطال المتلبيين وان نموذج المتشكك والعدمي والطفيلي والبيروقراطي والسوقي والفردي والانتهازي هي نماذج مناهضة للانسانية ولكنها موجودة وتصويرها تحت ضوء واقعي هو عمل انساني كبير يقوم به الكاتب وهو انجاز لواجبه كمواطن وخلاق).

ومن الجدير بالذكر ان كتاب الواقعية الاشتراكية يدينون ميوعة الادب الحديث في المجتمعات الراسمالية وسعيه وراء الشاذ والغريب والفردي.

وسننشر في العدد المقبل تعريفا لبعض كتاب الواقعية الاشتراكية مبتدئين بالا دبب مكسيم جوركي.

نداءات مجروح في بيروت

من قصيدة طويلة

للشاعرة : الين شاهين

اكلت قربان الصمت
وشربت نبيذ دم الغلاس
بعيدا.. بعيدا تغربت
وصرت قويا
لاحمل اوجاع العالم المقهور
ولاقلع شوك الصبر
في طريق العبور

* * *

كانت غربتي كاس سم
تجرعته رغم انفي
كنت من يوم ولدت
اعرف ان الحزن في الشرق
لونا من الوان الرقص قبل الموت
وانا رفضت من هول الحياة
لا من هول الموت
فضمني بجناحيه السوداء
وعليهما استلقيت
بكل امان المقتول
بوداعة طفل مجروح.. جائع ومذبوح
في شوارع بيروت

* * *

بحلم الشهيد استلقيت باحضان الموت
فضمني بحلم اب كبير
يريح المحزون
من وجع الانسان الممسوخ
من فصل تاريخي منظور

* * *

وترعرعت فوق القهر
ومشيت دروب البارود
وتبعثرت فوق رمال الدم
حرمتني شمس صحراء القتل
في دم الانسان الميت
عرّتني من كل فخار
وركعت
صليت من وجعي على وجعي
تفتت ككثبان الرمل امام الاعصار
قتلتني الريح في دورانها
لكني بين يديها استسلمت
كانت ارحم من انسان العصر
كانت اكبر من قلب الانسان
كانت انقى
مضت.... واعتذرت

قراءات

على الغابة .. على الصحراء .. على
صدى طفولتي
على كل الصفحات البيضاء
حجـــارة
كانت او دما ..
ورقة او رمادا .. اكتب اسمك
على بركة الشمس الاسنة
على بحيرة القمر المغانق
على كل لهفة فجر
على الجبال الرعناء
على مزلاج بابي
على جباه رفاقي ...
وحتـــى فوق الصمت ..
اكتب اسمك
على عتاب بلا رغبة .. على
عزلة عارية
على مخاطرة خنبة .. على من
بلاذكرى
على خطوات الموت .. اكتـــب
اسمك
وبقوة الكلمة ابدا حياتي ثانية
لقد ولدت لاعرفك ..
ولاحبك
ولاسميك .. ايها الحرية

بول ايلوار

حوار مع الفنان عبد عابدي

• ولدت بحيفا عام ٤٢، حيث درست الابتدائية والثانوية.

• سافرت عام ٦٤ الى المانيا الديموقراطية لدراسة الفن والتحقت بكلية درزدن.

• وفي عام ٧١ حصلت على شهادة الماجستير في الفن الجداري

• متزوج ولي ولدان.

• هناك ظروف، منها اسباب تتعلق بي تجعلني اعتقد ان الفنانين من عرب اسرائيل لم يفكروا بعد حركة تشكيلية متميزة بمدلول المعالم بالرغم من ان بعض الفنانين نالوا او ما زالوا يواصلون تعليمهم في اوروبا. ولكن مع الزمن فان مدرسة او اتجاها متميزا سيظهر لدى الفنانين العرب في اسرائيل.. والشخصية المستقلة لكل شعب هي التي ستكون الملهم الاول للفنانين....

- اهم عمل انجزته "نصب الارض" في سخنين وهو مصنوع من الالمنيوم المصهور ارتفاعه حوالي ٣٣٠ سم وعرضه ٤٥٠ سم وقد انجز النصب بالتعاون مع الفنان الاسرائيلي التقدمي كنيسبل وبمساعدة اهل سخنين والعديد من العمال والحدادين والناس البسطاء...

• اعتقد انه ان الاوان ان يخرج الفن للشارع وبدلا من ان يظل حبيس حدران القادرين على شراء الفن وامتلاكه فانه من الاجدى وضع الانصبة والتماثيل والجداريات في الساحات العامة ومحطات الباصات والقطارات والابنية العامة .....الخ.

اتمنى ان تتكرر تجربة "نصب الارض" بسعبر عن تاريخ ومعاناة هذا الشعب. لقد واجه شعبنا تجارب محزنة ولكن يمكن المسرح من هذا الحزن شيء ايجابي يتجاوز حدود المصلحة القومية الى ما هو انساني.

• في مخيم العمل التطوعي بالناصرة، جرى انجاز مشاريع نجسيلية تملك ابعادا تشكيلية وجمالية واثبتت تجربة الناصرة انه يمكن للناس ان يتذوقوا العمل التشكيلي كما يتذوقون الشعر وقد سعينا في الناصرة لنجعل لجدران الشوارع انتماءات حضارية وانسانية.

ويمكن ان يكون هذا العمل بداية لمراحل اخرى مدروسة ومخططة اكثر في الناصرة وغيرها من المدن والقرى. والمحاولة بمثابة دعوة لتشجيع البلديات من اجل تتبنى وضع ميزانيات خاصة لتجميل المدن والساحات والميادين والشوارع.

• بالنسبة لحركة التشكيلية في الضفة والقطاع، يمكن القول انها بدأت بطريقة ايجابية وبوسيلة مناسبة. ذلك انه يمكن مواجهة التحديات بمستوى حضاري رفيع من اجل التغلب على التحديات... اعتقد كذلك انه من الضروري جمع كلمة الفنانين واعتقد انه من الضروري الاستفادة من الموجهات المتقدمة داخل الحركة التشكيلية لان ذلك يقوي من زخم الحركة وبعضها دما جديدا.

أجرى الحوار الفنان كريم رشاح